"مسارات ثلاثة أمام إيران لمواجهة الحزم الأميركي: الصمود، المناورة أو التنازل؟"

نبذة

شهدت منطقة الخليج العربي وبحر عمان خلال الأشهر الثلاثة الماضية تطورات دراماتيكية متسارعة أدت إلى تأزم الأوضاع وتصعيدها إلى مستويات غير مسبوقة. فسياسة الضغوط القصوى التي تعتمدها الإدارة الأميركية لإكراه إيران على التقيد بمطالبها، خصوصا فيما يتعلق بالجلوس إلى طاولة المفاوضات للتوصل إلى اتفاق نووي جديد، دفعت طهران إلى الرد عبر اعتماد سياسة حافة الهاوية. اهتز مضيق هرمز على وقع عدة هجمات استهدفت ناقلات النفط وحملت أجهزة الاستخبارات الغربية مسؤوليتها إلى الحرس الثوري الإسلامي الإيراني. واحتجزت إيران أيضاً ثلاث ناقلات نفط تحت ذرائع مختلفة، إحداها ترفع العلم البريطاني. هذا التهديد لخطوط الملاحة البحرية ولسلامة الناقلات حدا الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرها من الدول إلى تكثيف وجودها العسكري في المنطقة في ظل خطة وضعتها واشنطن لإنشاء أسطول حربي دولي مهمته مراقبة المنطقة بين مضيق هرمز وباب المندب وتأمينها.

وعلى الرغم من تأكيد كل من واشنطن وطهران مراراً وتكرراً أنهما لا تسعيان إلى الحرب، إلا أن سياستهما قد تسفر في النهاية عن اندلاع مواجهة عسكرية.وتجلى ذلك في ٢١ حزيران/يونيو الماضي، عندما كانت الولايات المتحدة تستعد لتنفيذ ضربة انتقامية ضد إيران رداً على إسقاطها طائرة مسيرة أميركية، إلا أن الرئيس دونالد ترامب ألغاها قبل انطلاقها بعشر دقائق. وبرر الرئيس ترامب قراره هذا بفداحة الخسائر البشرية التي قد تسفر عنها هذه الضربة والتي قدرت بنحو ١٠٠ ضحية إيرانية، في ما اعتبره رداً لا يتناسب مع إسقاط طائرة مسيرة لا تحمل طاقماً على متنها. إلا أنه أكد أن الرد سيكون مغايراً في حال تكبدت بلاده خسائر بشرية. في المقابل، حذر مسؤولون إيرانيون من أن أي ضربة تستهدف الأراضي الإيرانية ستواجه برد عنيف وواسع النطاق ضد الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة.

في مسار موازٍ، تكثفت خلال الأسابيع الماضية الجهود الديبلوماسية للتخفيف من حدة التوتر تجسدت في محاولات وساطة عدة للتوصل إلى اتفاق جديد بين إيران والولايات المتحدة. في أعقاب عودته من زيارة قصيرة إلى نيويورك حيث عقد خلف الكواليس العديد من الاجتماعات، استقبل وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف نظيره العماني يوم ٢٧ تموز/يوليو في طهران لمناقشة بعض التصورات لحل الصراع الدائر، في زيارة هي الثانية من نوعها خلال شهر واحد. لعبت سلطنة عمان دوراً محورياً في بدء المحادثات التي أدت إلى توقيع عام ٢٠١٥ على الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة الخمسة +١ والمعروف باسم خطة العمل الشاملة المشتركة.من جانبه، لا ينفك الرئيس ترامب يطالب العودة إلى مفاوضات غير مشروطة مع القادة الإيرانيين للتوصل إلى اتفاق.

في ضوء الأحداث الأخيرة وازدياد حدة التوتر والجهود المبذولة للتوصل إلى حل سياسي للأزمة، تجد المنطقة نفسها أمام ثلاثة سيناريوات محتملة: الحرب أو اتفاق سلام أو استمرار الأزمة وانسداد أفق الحل.

السيناريو الأول: تدهور الوضع الامنيي في مضيق هرمز. تنفذ إيران هجوماً ضد أحد المواقع الأميركية يتسبب في خسائر بالأرواح ما يدفع الولايات المتحد إلى ضربة انتقامية ضد القواعد العسكرية الإيرانية، فترد إيران بهجوم ساحق وواسع النطاق بما يؤدي إلى اندلاع حرب إقليمية. كيف سيكون رد فعل كل من اللاعبين الإقليميين والدوليين وما هي العواقب المحتملة لهذا السيناريو في حال حدوثه؟

السيناريو الثاني: تنجح الديبلوماسية الخلفية بتحقيق تقدم واختراق كبيرين يمهدا الطريق للتوصل إلى اتفاق جديد بين الولايات المتحدة وإيران يشمل سائر الدول التي وقعت سابقاً على خطة العمل المشتركة. كيف سيكون رد فعل كل من اللاعبين الإقليميين والدوليين وما هي العواقب المحتملة لهذا السيناريو في حال حدوثه؟

السيناريو الثالث: تدهور العلاقات بين إسرائيل وجيرانها لبنان، سوريا والعراق. رئيس الوزراء الإسرائيلي بينيامين نتنياهو يدفع باتجاه سياسة حافة الهاوية طائرات ميسرة وعربات وصواريخ، بينما تقوم المنظمات خارج الدولة (لاسيما حزب الله) بالرد. يبقى لبنان قاعدة رئيسة لإيران وحزب الله ما يسمح لهما القيام بعمليات من لبنان دون أن تستدعي تدخلاً من الدول الكبرى. وإذا تحول لبنان إلى ساحة معركة، قد يتوسع القتال إلى العراق ومناطق أخرى في المنطقة. كيف سيكون رد كل من اللاعبين الإقليميين والدوليين وما هي العواقب المحتملة الأكثر رجحاناً.